الإمام أبو منصور الماتريدي (رحمه الله)
سيرته وعصره

أ.د. عبدالله أسود خلف *

م. حنان صبحي سلمان *

الملخص

يُعد الإمام أبو منصور الماتريدي (رحمه الله) من كبار علماء أهل السنة والجماعة، حيث كان له دور مهم في شرح عقيدة أهل السنة والجماعة وتوضيحها بالنقل والعقل، عاش في عصر الجدل والمناظرات بين المعتزلة وأهل السنة، عصرٌ شهدَ سجالاً فكريًا وعقائديًا، ممَّا كان له الأثر الأكبر في تصانيفه، ومنها تفسيره (تأويلات أهل السُّنة) والَّذي اختار فيه منهجًا مُعينًا من حيث الاهتمام بمناقشة قضايا معينة، سواء في جانب الأصول أو الفروع ، وتفقه في العلم على أئمة العلماء في عصره الَّذين أخذوا العلم عن سلسلة من العلماء تنتهي إلى الإمام أبي حنيفة (رحمه الله)، هذه البيئة الَّتي عاش فيها الماتريدي كان لها الأثر الأكبر في نبوغه ، له دور بارز في نصرة السنة والدفاع عنها، من خلال نصرة عقائد أهل السنة والرد على أهل البدع والضلالات، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء .

The summary

Imam Abu Mansour Al-Matridi is considered one of the senior scholars of the Sunnis and Al-Jamaa'a, as he had an important role in explaining the doctrine of the Sunnis and Al-Jamaa'a , and clarifying it by transmission and reason.

He lived in the era of controversy and debates between the Mu'tazila and

* جامعة تكريت / كلية العلوم الاسلامية .

* جامعة الموصل / كلية العلوم الاسلامية .

the Sunnis, An era that witnessed an intellectual and ideological debate, which had the greatest impact in its secularization, including its interpretation (interpretations of the Sunnis), in which he chose a certain approach in terms of interest in discussing certain issues, whether in terms of origins or branches, and he is understanding in science on the imams of scholars in his time who took science from a series of scholars ending in Abu Hanifa.

This environment in which the Matridi lived had the greatest impact on his genius, he has a prominent role in supporting and defending the Sunnah,By supporting the beliefs of the Sunnis and responding to the people of heresies and delors, may God reward him on behalf of the Muslims.

المقدمة

الحمدُ لله رب العالمين، والصَّلاة والسَّلام على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمُرسلين، وعلى آله الطيبين الطَّاهرين، وصَحَابته الغُر الميامين، وتابعيهم ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين وبعد:
الإمام أبو منصور الماتريدي من كبار علماء أهل السُّنة والجماعة، ومن أبرز الشخصيات الإسلامية الَّتي كان لها دورٌ مهمُ في شَرح عقيدة أهل السُّنةِ والجماعة وتوضيحها بالنَّقل والعَّقل. وهو إمام المدرسةِ الماتريدية الَّتي يتبعها غالبية أتباع المذهب الحنفي في العقيدة، وقد استفاد من آراء أبي حنيفة الكلامية، ولم يكن مجرد شَارح ومُفصل لطريقة أبي حنيفة، بل كان مُبتكرًا، حيث كان له منهجه الخاص به، وهو أحد مجددي الإسلام في زمانه، وهو علم من أعلام الفكر الإسلامي، وكان له دور كبير في نصرة عقائد أهل السُّنة والرَّد على أهل البِدع والضَّلالات، له دور بارز في نصرة السُّنة والدِّفاع عنها، حيث نهض الماتريدي في الأقاليم الشرقية من العالم الإسلامي، ونهض أبو الحسن الأشعري في الأقاليم المتوسطة لمجابهة ذوي الأفكار المتطرفة، وكلاهما قد تبنّوا منهجًا مُماثلًا وطبّقوه، فاستطاعوا بمرور الزَّمن أن يُشكّلوا مدرسة كلامية سُنية انتسب إليها أكثر من تسعين بالمائة من مسلمي العالم الإسلامي.

أهمية البحث: التعريف بشيخ من شيوخ أهل السنة والجماعة، وتسليط الضوء على العصر الذي عاش فيه ، ومصنفاته التي ضمت العديد من الفوائد التَّفسيرية التي تجعل القارئ يُطرب سمعه بألوان المعارف المختلفة.

أسباب البحث: إغفال ترجمة الإمام الماتريدي في أكبر وأشهر كتب التراجم، بالرَّغم من أنَّه عاش في بلاد اتسمت بالاستقرار في عصره، وبنضج الحركة العلمية والفكرية فيها.

خطة البحث: اشتملت خطة البحث على مقدمة بيَّنت فيها سبب اختيار الموضوع وأهميته، ومبحثين وخاتمة، وثبت المصادر والمراجع وبالتفصيل الآتي:

المبحث الأول: حياة الامام الماتريدي .

المطلب الأول: أسمه ونسبه وكنيته ولقبه.

المطلب الثاني: نشأته، وطلبه للعلم، ورحلاته .

المطلب الثالث: مشايخه، وتلاميذه.

المطلب الرابع: قيمته العلمية، وثناء العلماء عليه .

المطلب الخامس: مؤلفاته .

المطلب السادس: وفاته .

المبحث الثاني عصر الإمام الماتريدي .

المطلب الأول: الحالة السياسية في عصر الإمام الماتريدي .

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية في عصر الإمام الماتريدي .

المطلب الثالث: الحالة العلمية في عصر الإمام الماتريدي .

ومن ثم الخاتمة والمصادر والمراجع ، نسأل الله العظيم أن يتقبل منا هذا الجهد المتواضع، وأن يتجاوز عن تقصيرنا وخطايانا والله ولي التوفي

المبحث الأول: حياة الإمام الماتريدي

يُعد الإمام أبو منصور الماتريدي من الشَّخصيات الإسلامية البَارزة ومِن كِبار عُلماء أهل السُّنة والجَماعة، وهو صاحب المَذهب الماتريدي والَّذي اتبع فيها مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، واستفاد من آرائه في العقيدة والفقه والكلام، وألَّفَ الكُتب والمُصنفات الَّتي أغنت المكتبة الإسلامية.

المطلب الأول: أسمه ونسبه وكنيته ولقبه

أولًا: اسمُهُ: هو: أبو مَنصُور محمد بن محمد بن محمود(١) .

ثانيًا: نَسَبه: ينتهي نسبه إلى خالد بن زيد بن كليب الماتريدي ، وخالد هو: أبو أيوب الأنصاري(٢) ، فالأنصاري نسبة إلى ما ينتهي إليه نسبه(٣).

ثالثًا: نسبته وكُنيته

سُمي بالماتُريدى نسبة إلى بلدته (ماترید) محلة بسمرقند، ويقال لها ماتريت(٤)، ذكرها السمعاني(٥)، وقال: تخرج منها جماعة من العلماء والفضلاء(٦)، والسمرقندي: نسبَة إلى إقليم سَمَرقَند، وفيه مدينة سمرقند(٧)، وكنيته: أبو منصور.

---

(١) ينظر: الجواهر المضيئة في تراجم الحنفية، عبد القادر القرشي: ٣/ ٣٦٠، الفوائد البهية في تراجم الحنفية، أبو الحسنات اللكنوي: ١٩٥.

(٢) هو: خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة،أبو أيوب الأنصاري النجاري، من بني غنم بن مالك بن النجار، غلبت عليه كنيته، شهد العقبة وبدرًا وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله ﷺ حين قدم المدينة مهاجرًا من مكة، فلم يزل عنده حتى بنى مسجده في تلك السنة، وبنى مساكنه، ثم انتقلﷺ إلى مسكنه، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين مصعب بن عمير، مات سنة (٥٠هـ) أو (٥١هـ). ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ابن عبد البر: ٢/ ٢٤٢.

(٣) ينظر: الأنساب، السمعاني: ١٢/ ٣.

(٤) ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول: حاجي خليفة: ٥/ ٢٧١.

(٥) هو: تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن أبي بكر السمعاني المروزي الفقيه الشافعي الملقب قوام الدين، رحل في طلب العلم والحديث، وصنف التصانيف الحسنة الغزيرة الفائدة، منها : (تذييل تاريخ بغداد)، و كتاب (الأنساب)، توفي سنة (٥٦٢هـ). ينظر: وفيات الأعيان،ابن خلكان: ٣/ ٢٠٩، رقم: ٣٩٥.

(٦) ينظر: الأنساب: ١٢/ ٣.

(٧) سمرقند: يقال لها بالعربيّة سمران: بلد معروف مشهور، قيل: إنّه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، بناها شمر أبو كرب فسميت شمركنت فأعربت فقيل سمرقند، وقيل: إن سمرقند من بناء الإسكندر، وحالياً هي مدينة في اوزبكستان. معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٣/ ٢٤٩.

رابعًا: لَقَبه

أطلَق الماتريدية(١) عدةَ ألقابٍ على إمامهم أبي منصور الماتريدي تدل على عُلُو مَنزِلته وقَدَره عِندَهم في العِلمِ ونُصرة الدينِ والدِّفاع عن العقيدة، مثل: (إمام الهدى)، و(إمام المتكلمين)، و(مصحح عقائد المسلمين)، و(الإمام الزَّاهد)، و(رئيس أهل السُّنة)، وبالَغ بعضهم في وصفه فعَدَّه مَهدي هذه الأمة في وقته(٢).

المطلب الثاني: نشأته، وطلبه للعلم، ورحلاته:

أولًا: نشأته:

لم تذكر المصادر القديمة تاريخ ولادته، وقد ذكر بعض المعاصرين أنَّ تاريخ ولادته تقريبا سنة (٢٣٨هـ)(٣)، وهذا يعني أنَّه ولد في عهد الخليفة العباسي المتوكل(٤) (٢٣٢- ٢٤٧هـ)، كما كما يعني أنَّه يتقدم في مولده على أبي الحسن الأشعري(٥)

---

(١) الماتريدية: فرقة كلامية، تُنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاججة خصومها، من المعتزلة والجهمية وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مجموعة من المؤلفين: ٩٥/١

(٢) ينظر: طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي: ٦٩، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والأقراء والنحو واللغة، مجموعة من المؤلفين: ٣/ ٣٣٥٦.

(٣) ينظر: الموسوعة الميسرة:٣/ ٣٣٥٦.

(٤) هو: جعفر بن محمد بن هارون ، الخليفة المتوكل ابن المعتصم بن الرشيد العباسى، بويع بالخلافة بعد أخيه الواثق هارون، واستمر حتى مات مقتولًا فى سنة (٢٤٧هـ) وكانت خلافته خمسة عشر عاما، وحمل على أبطال المحنة بخلق القرآن، كان فيه انهماك على اللَّهو والمكاره، وفيه كرم زائد، صنع فى أيامه كثيرًا من المآثر بمكة، وهى عمارة المسجد الحرام ومسجد الخيف، وعمارة رخام فى الكعبة، وتحليته لها وللمقام. ينظر: العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين، التقي الفاسي: ٣/ ٢٨١.

(٥) هو: علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق أبو الحسن الاشعري، صاحب الأصول وإمام المتكلمين وناصر سنة سيد المرسلين والمصحح لعقائد المسلمين وهو بصري، انتقل إلى بغداد وإليه تنسب الطائفة الأشعرية، أخذ علم الكلام أولا عن أبي علي الجبائي شيخ المعتزلة ثم فارقه ورجع عن الاعتزال وشرع في الرد عليهم والتصنيف على خلافهم، وله الكثير من الكتب منها: اللمع، والموجز، وإيضاح البرهان، والتبيين عن أصول الدين، والشرح والتفصيل في الرد على أهل الإفك والتضليل، وهو صاحب الكتب في الرد على الملاحدة وغيرهم من المعتزلة والجهمية والخوارج، توفي سنة (٣٢٤هـ). ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٣/ ٢٨٤، طبقات الشافعية، ابن قاضي شهبة: ١/ ١١٣، رقم: ٦٠.

بأكثرَ مِن عشرين سنة(١). عاشَ الماتريدي في عصرِ الدَّولةِ السَّامانية(٢) الَّتي وَليت سمرقند ما بين (٢٦١ – ٣٨٩ هـ) وكان مُلُوكها أحسنَ المُلوك سيرَة وإجلالاً للعلم وأهله، فنشأ المَاتريدي في هذه المدينة الَّتي تَتَمتع بخصائص ومُميزات، سواء من ناحية طَبيعتها، أو أهلها، أو حتى حُكامها(٣)، حيثُ يُمكننا القَول أنَّ الماتريدي نشأ في بيئةٍ هادئةٍ سياسيًا، خالية من الصِّراعات والتَّقلبات السِّياسية، وكانت في الوَقت نَفسه مُزدحمة بالمُفكِرين والمُبدعين من شتى الاتجاهات ومختلف المذاهب؛ لذلك نشأ الماتريدي قوي الحجة، مُفحمًا في الخصومة، دافع عن عقائد المسلمين، ورد شبهات الملحدين، وبذلك نشأت المدرسة الماتريدية على يديه والَّتي اتسمت بشدة المُناظرات مع المعتزلة(٤) وغيرهم؛ فكانت مدرسته والمدرسة الأشعرية(٥) تُمثلان مَذهبَ أهل السُّنة، حتى عُرفت في المشرق مدرسته الماتريدية، كما عرف في المغرب المدرسة الأشعرية.

ثانيًا: طلبه للعلم ورحلاته

درس الماتريدي وتلقى علومه على أيدي شيوخ وعلماء كبار سيأتي ذكرهم فيما بعد، جمعوا بين

(١) ينظر: مقدمة كتاب التوحيد ، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: فتح الله خليف، بكر طوبال اوغلي، دار صادر– بيروت ، الطبعة الجديدة: ١٢.

(٢) الدولة السامانية: هم ملوك وسلاطين ما وراء النهر وخراسان، وكانوا أحسن الملوك سيرة ومن ولي منهم كان يقال له سلطان السلاطين، لا ينعت إلا به وصار كالعلم لهم، وكان يغلب عليهم العدل والدين والعلم، وملك من بينهم جماعة، ولم تنقرض دولتهم إلا بدولة السلطان محمود بن سبكتكين، وكانت مدة ولايتهم مائة سنة وسنتين وستة أشهر وعشرة أيام. ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان: ٥/ ١٥٩.

(٣) مقدمة تأويلات الماتريدي: ١/ ٧٨.

(٤) المعتزلة: فرقة اسلامية ظهرت في أوائل القرن الثاني الهجري، وسلكت منهجًا عقليًا في بحث العقائد الإسلامية، وهم أصحاب واصل بن عطاء الَّذي اعتزل عن مجلس الحسن البصري، ولهم أصول خمسة يجمعون عليها وهي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أشهر كتبهم: فضل الاعتزال للبلخي، وشرح الاصول الخمسة، وطبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار. ينظر: مقالات الإسلاميين، أبو الحسن الأشعري:١/١٥٩، الفرق بين الفرق، البغدادي:١٦٦-١٨٤، الملل والنحل،الشهرستاني: ١/٥٧

(٥) الأشعرية: فرقة كلامية إسلامية من متكلمي أهل السنة والجماعة، أتباع أبو الحسن الأشعري توفي ٣٢٤هـ، وسموا بالأشعرية نسبة إلى أبي موسى الأشعري، يثبتون صفات الله تعالى دون تفريق بين الخبرية والعقلية، المتأخرون منهم لا يثبتون من صفات الله إلا سبعًا وهي : السمع والبصر والعلم والكلام والقدرة والإرادة والحياة، ويؤولون الصفات الخبرية أو يفوضونها، من أبرز أئمة هذا المذهب: القاضي ابو بكر الباقلاني، أبو اسحاق الشيرازي، أبو حامد الغزالي. الملل والنحل: ١/ ٩٤، الفرق الإسلامية الكلامية مدخل ودراسة، دكتور علي عبد الفتاح المغربي: ٣/ ٤٠٤.

الأصول والفروع، والتوحيد والفِرق، والتمييز والتحديث(١)، أما الماتريدي فقد دار طلبه للعلم وبحثه حول تفسير القرآن الكريم وأصول الفقه وأصول العقيدة ومنازع ذوي البدع على اختلاف مشاربهم والوانهم، فدرس العلوم العقلية والنقلية حتى صار إمامًا في الفقه والتفسير والكلام، وتجاوز بمحاوراته ومناظراته حدود بلده، فارتحل إلى البصرة حيث الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم للمناظرة معهم في العقائد، مما كان سببًا في انتشار المذهب الماتريدي ونسبته إليه(٢)، وكان المعتزلة يلقبون أهل السنة به.

المطلب الثالث: مشايخه، وتلاميذه:

اولًا: مشايخه

تَتلمذ الإمام الماتريدي على يد شُيوخ وعُلماء كِبار، برز منهم أربعة من أعلام الفقه الحنفي ومن علماء زمانهم وهم:

١- أبو نصر العيَّاضي: هو: أحمد بن العباس بن الحسين بن جِبلَّة بن سعد بن عبادة، الأنصاريّ الفقيه السَّمرقنديّ، أبو نصر العيَّاضي: كان صاحبَ علمٍ وجهادٍ، وكان له ولدان إمامان فى الفقه، من أتباع أبى حنيفة، شديدان فى المذهب، وليس له رواية ولا حديثًا، أَسَرَهُ الكُفار فقتلوه صبرًا في التُرك، ولم يكن أحد يُضاهيه ويُقابله فى البلاد؛ لعلمه وورعه وكتابته وشهامته، إلى أنْ استشهد، حكى أنَّه لما استشهد خلَّف أربعين رجلًا من أصحابه، كانوا من أقران أبى منصور الماتريدي(٣).

٢- الجُوزَجَاني: هو: أحمد بن إسحاق أبو بكر الجُوزَجَاني: عالمٌ جمع بين علم الأصول وعلم الفروع، وكان في أنواعِ العُلومِ في الدَّرجةِ العاليةِ، وله كتاب(الفرق والتَّمييز)، وكتاب (التَّوبة) وغيرهما، توفي بعد سنة ٢٠٠هـ(٤).

٣- محمد بن مُقاتل الرَّازي: كان إمامَ أصحاب الرأي بالرّي(٥) ومات بها، وكان مُقدمًا في الفِقه، رَوى رَوى عَن وكيع(ت: ١٩٧هـ) وسُفيان ابن عيينة (ت:١٩٨هـ)، كان مِن أصحابِ محمد بن الحَسَن،

(١) ينظر: الفوائد البهية: ١٩٥.

(٢) ينظر: مقدمة كتاب التوحيد: ١٥-١٦.

(٣) ينظر: الجواهر المضية: ١/ ١٧٧، الفوائد البهية: ٢٣.

(٤) ينظر: الطبقات السنية في تراجم الحنفية، التقي الغزي: ٨١/١، الفوائد البهية: ١٤.

(٥) الري: مدينة عظيمة وعامرة ذات تجارات مزدحمة بالسكان والتجار الكثيرين، مياه أهلها من قنوات، اشتهرت بالأبراد والقطن والغضائر والسمن والنبيذ والصوف الجيدة، وبها قبور محمد بن الحسن الفقيه والكسائي والفزاري المنجم ، وهي مدينة قرب طهران اليوم. ينظر: حدود العالم من المشرق إلى المغرب، ١٥٢المؤلف مجهول(ت: بعد ٣٧٢هـ)، رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة، أحمد بن فضلان: ٣٥.

ماتَ سَنة ثَمَان وأربعين ومائتين(١).

٤- البَلخِي: هو: نُصَير بن يحيي وقيل: نصر البَلخِي: تَعلم الفِقه على أبي سُليمان الجُوزَجَاني عن محمد، روى عنه أبو عتاب البَلخي مات سنة ثمان وستين ومائتين(٢).

ثانيا: تلاميذه

تخرج على يديه مجموعة من طلبة العلم الَّذين أصبحوا من أئمة العلماء وكان لهم الدور الأعظم في نهضة الساحة العلمية، ومن أشهرهم:

الحكيم السمرقندي: هو: الإمام أبو القاسم إسحق بن محمد بن إسماعيل، المعروف بالحكيم السَّمرقندي القَاضي الحَنَفي، كان مِمَّن يُضرب به المثل في الحِكمةِ والحلم وقد دُونت حِكمته وانتشر ذكره لذلك لُقبَ بالحكيم، تولى قَضاء سَمرقند فترَة طويلَة وكان شَريك الإمام الماتريدي وصَحِبَه إلى أنْ فرق الموت بينهما، وله كتاب(السواد الأعظم في الكلام) مُختصر يشتمل على (٦٢) مسألة، توفي سنة(٣٤٢ هـ)(٣).

البزدوي: هو: عَبْد الكريم بن مُوسى بن عيسى البَزدوى نِسبة إلى بَزدة قلعة حصينة على ستة فراسخ من نسف(٤)، جَدُ فَخر الإسلام البَزدوى أخذ عن أبي منصور الماتريدي عن أبي بكر الجوزجاني عن أبي سليمان عن محمد، مات (٣٩٠هـ)(٥)

أبو اللَّيث السَّمرقندي: هو: نصر بن مُحَمَّد بن أَحمد بن إِبرَاهِيم أَبو اللَّيث السَّمرقَندي: إِمَام الْهدى كان لَهُ عدة كتب منها: (تَفسِير القُرآن)، وَكتاب (النَّوازِل فِي الفِقه)، و(خزانة الأَكمَل)، و(تنبيه الغافلين)، و(بستان العارفين)، و(عيون المسائل)، وكتاب (تأسيس النَّظَائِر)، توفّي سنة (٣٩٣هـ)(٦)

الرُّستُغفَني: هو: علي بن سعيد، أبو الحسن الرُّسْتُغْفَنِي: من رُسُغْفَن أحدى قرى سمرقند، وأحد أصحاب الماتريدي، له كتاب (إرشاد المهتدي) وكتاب (الزوائد والفوائد) في أنواع العلوم، وقد وُصف بأنَّه من كبار مَشَايخ سمرقند، ولهُ ذكرٌ في الفقه والأصول في كتب الحنفية(٧).

وهناك غيرهم كثير نَهضت منهم أجيال عملت على تيسير مذهب الماتريدي وتَنقِيحه وتَنميته،

---

(١) ينظر: لسان الميزان:٥/ ٣٨٨.

(٢) الجواهر المضية: ٢/ ٢٠٠.

(٣) ينظر: الجواهر المضية: ١/ ٣٧١، سلم الوصول إلى طبقات الفحول: ١/ ٢٩٤.

(٤) نَسَف: هي مدينة كبيرة كثيرة الأهل بين جيحون وسمرقند، خرج منها جماعة كثيرة من أهل العلم في كل فن. ينظر: معجم البلدان: ٥/ ٢٨٤.

(٥) ينظر: الفوائد البهية في تراجم الحنفية: ١٠١.

(٦) ينظر: تاج التراجم: ٣١٠، طبقات المفسرين: ٩١.

(٧) ينظر: تاج التراجم، ابن قطلوبغا: ٢٠٥، سلم الوصول إلى طبقات الفحول: ٤/ ٤٤٩.

مُضيفين إليه من أفكارهم ما يَدعَم المَذهَب ويَحفَظه ويُذيعه في بلاد ما وراء النهر فألفوا كتبًا ومصنفات(١)منهم: الإمام أبو اليُسر البَزدوي(٢) صاحب كتاب (أصول الدين)، والإمام أبو المعين النَّسَفي(٣)صاحب الكتاب المشهور:(تبصرة الأدلة)، ونجم الدين النَّسَفي(٤) وكتابه المشهور (العقائد النَّسفية)، ونور الدِّين الصَّابوني(٥) وكتابيه:(الكفاية في الهداية) و(البداية في أصول الدين).

المطلب الرابع: قيمته العلمية، وثناء العلماء عليه

للمَاتريدي قِيمة ومكانة علمية بين عُلَماء الأُمة فقد كانت له بصمة واضحة في تاريخ الفِكر الإسلامي حيث يُعد مُؤسسًا لأحدى المدارس الكَلامية الَّتي انتشرت في العَالَم الإسلامي وهي المَدرَسة المَاتُريدية، ولُقِب بألقابٍ تدلُّ على علو مكانته في العلم، وبروز نجمه، وسطوع شمس معارفه في فضاء أهل الإسلام، فهو رئيس أهل السنة والجماعة، وإمام المتكلمين.

يقول طاش كبرى زاده(٦): إنَّ رَئيس أهل السُّنة والجماعة في علم الكلام رجلان، أحدهما:

---

(١) ينظر: مقدمة كتاب التوحيد : ١٦-١٧.

(٢) هو: محمد بن محمد ابن الحسين بن عبد الكريم أبو اليُسر البزدوي، كان إمام الأئمة على الإطلاق والموفود إليه من الآفاق، ملأ الكون بتصانيفه في الأصول والفروع، ووُلي قَضاء سَمَرقند وأملى الحديث، توفي ببخارى سنة (٤٩٣هـ). ينظر: الفوائد البهية: ١٢٥.

(٣) هو: ميمون بن محمد بن محمد بن معبد ابن أبي الفضل، أبو المعين النسفي. الإمام الزاهد، العالم البارع له كتاب ((التمهيد لقواعد التوحيد)، وكتاب (تبصرة الادلة)، كان علماء الشرق والغرب تغترف من بحاره، وتستضيء بأنواره، توفي سنة (٥٠٨ هـ) . ينظر: تاج التراجم: ٣٠٨.

(٤) هو: عُمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل نجم الدين أبو حفص النسفي مفتي الثقلين، كان إماماً فاضلاً أصولياً مُفسراً متكلماً، فقيهاً محدثاً، نحوياً حافظاً، أحد الأئمة المشهورين بالحفظ الوافر والقبول التام عند الخواص والعوام أخذ الفقه عن صدر الإسلام أبي اليسر محمد البزدوي وله تصنيفات جليلة في التفسير والفقه، توفي سنة (٥٣٧ هـ). ينظر: الفوائد البهية: ١٤٩.

(٥) هو: أحمد بن محمود نور الدين الصابوني من علماء الكلام الحنفية ، صاحب البداية في أصول الدين، والكفاية، تفقه عليه شمس الأئمة محمد الكردرى، مات سنة (٥٨٠هـ) ودفن بمقبرة القضاة السابعة ببخارى, ينظر: الفوائد البهية: ٤٢.

(٦) هو: أحمد بن مصطفى بن خليل أبو الخير عصام الدين الشهير بطاش كبرى زاده، تنقل في المدارس الشريفة، الشريفة، وصار مدرسًا بإحدى المدارس ثم صار قاضيًا بمدينة إسطنبول، وكانت سيرته محمودة، وولايته مشكورة،

حَنَفيٌّ، والآخَر شَافعيٌّ، أمَّا الحنفي، فهو: أبو منصور محمد بن محمود الماتريدي، إمام الهدى، وأمَّا الآخَر الشَّافعي، فهو شيخ السنة، ورئيس الجماعة إمام المتكلمين أبو الحسن الأشعري البصري"(١). وقد أثنى عليه كثير من علماء الأمة، وذكروا علو منزلته، وإرتفاع شأنه، ورسوخ قدمه في العلم، قال عنه ابن حجر الهيتمي(٢):" المراد بالسنة ما عليه إماما أهل السنة والجماعة الشيخ أبو الحسن الأشعري وأبو منصور الماتريدي"(٣). وقال الكفوي(٤): إمام المتكلمين ومصحح عقائد المسلمين، نصره الله بالصراط المستقيم، فصار في نصرة الدين القويم، صنف التصانيف الجليلة، ورد أقوال أصحاب العقائد الباطلة(٥).

وقال الزبيدي(٦): "أنَّ الماتريدي كان إمامًا جليلًا مناضلًا عن الدين موطدًا لعقائد أهل السنة، قطع المعتزلة وذوي البدع في مناظراتهم، وخصمهم في محاوراتهم حتى أسكتهم.

المطلب الخامس: مؤلفاته

للإمام الماتريدي عدة كتب ومؤلفات في مختلف المجالات فقد ألَّف في العقيدة و علم الكلام وأصول الفقه والتفسير وعلوم القرآن وغيرها، ومن أبرز مؤلفاته ما يأتي:

١-كتاب التوحيد، ويعرف باسم كتاب التوحيد وإثبات الصفات، وهو مطبوع

٢- كتاب المقالات.

٣- الرد على أصول القرامطة.

كان عالمًا بالعلوم والأُصول والتفسير، وله مؤلفات عديدة منها: كتاب(موضوعات العلوم) ، وكتاب (الشقائق النعمانية)، توفي سنة (٩٦٨هـ). ينظر: الطبقات السنية: ١٥٣، طبقات المفسيرين: ٣٨٧.

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة: ٣/ ٢٣٥٦.

(٢) هو: الإمام المُحقق الفقيه، الشَّيخ شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي أبو العباس بن حجر الهيتمي الأنصاري الشَّافعي، المصري، ثم المكي، وُلِدَ في مَحلة أبي الهَيتم، مِن إقليم الغربية بمصر. ونشأ ببلده، وحفظ القرآن الكريم، ثم أنتقل إلى القاهرة، توفي سنة ٩٧٣ هـ. ينظر: الأثمار الجنية في طبقات الحنفية، الملا علي القاري: ١/ ٣٥.

(٣) الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن حجر الهيتمي: ١/ ١٦٥.

(٤) أيوب بن السَّيد الشَّريف مُوسى القاضي القريمي أبو البقاء الكفوي، صاحب كتاب الكُليات ، وألف كتاب (تُحفة الشَّاهان) باللغة التركية في فروع الحَنَفيَّة ، ووُلي القضاء بتركيا والقدس وبغداد، توفي سنة (٩٩٤ هـ) ينظر: هدية العارفين، اسماعيل باشا: ١/ ٢٢٩.

(٥) مقدمة تأويلات الماتريدي: ١/ ٩٢.

(٦) هو: محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني أبو الفيض الزبيدي، الملقب بمرتضى، لغوي نحوي محدث أُصولي، أديب مؤرخ نسابة، مشارك في عدة علوم، اصلُه من واسط في العراق، ومولده في الهند، ومنشأه في زبيد باليمن، رحل إلى الحجاز، وأقام بمصر، فاشتهر بين الناس، توفي بالطاعون سنة (١٢٠٥هـ) من تصانيفه : تاج العروس، الروض المعطار، اتحاف السادة المتقين في شرح إحياء العلوم للغزالي، وعقد الجواهر المنيفة في ادلة مذهب الامام ابي حنيفة. ينظر: معجم المؤلفين١١/ ٢٨٢.

٤- رد الأصول الخمسة لأبي محمد الباهلي.
٥- رد وعيد الفساق، ويعرف باسم رد كتاب الكعبي في وعيد الفساق.
٦- رد تهذيب الجدل للكعبي.
٧- بيان وهم المعتزلة، ويعرف باسم كتاب بيان أوهام المعتزلة .
٨- تأويلات اهل السنة.
٩- رسالة فيما لايجوز الوقف عليه في القرآن(١).
١٠- الأصول في أصول الدين.

وجميع هذه الكتب مفقودة ولم يتم العثور عليها ماعدا كتابيه: التَّوحيد وتاويلات اهل السُّنة فقد تمت طباعتهما مع التحقيق، كذلك وجد كتابه (رسالة فيما لا يجوز الوقف عليه في القرآن) في بعض الخزائن محققاً باسم الوقوف المحرمة.

المطلب السادس: وفاته

بالنِسبَةِ لوفَاتِه هُناك مَن قال إنَّه تُوفي سَنة (٣٣٦ هـ)، وذَكَر الكَوثَري(٢) في مقدمته لكتاب:(العالم والمتعلم) بأنَّه تُوفي سنة (٣٣٢هـ)، وقَطَع بذلك الشَّيخ أبو الحَسَن النَّدَوي(٣) في كتابه: (رِجال الفِكر والدَّعوة)، ولكن القُرشيّ(٤) ذكر في كتابه:(الجواهر المضية) أنَّه توفي سنة (٣٣٣ هـ) بعد وفاة أبي الحسن الأشْعري بقليل.

المبحث الثاني:عصر الإمام الماتريدي

---

(١) ينظر: هدية العارفين: ٣٦/٢.

(٢) هو: محمد زاهد بن الحسن الكوثري الجركسي الحنفي، فقيه محدث متكلم مؤرخ، عارف باللُّغات، غادر إلى القسطنطينية وتفقه في جامع الفاتح، ودرّس فيه، وعُين أُستاذًا في جامعة استانبول، تَنَقل زمنًا بين مصر والشَّام، ثم استقر موظفًا في دار المحفوظات لترجمة ما فيها من الوثائق التُّركية إلى العربية، وتوفي بالقاهرة سنة (١٣٧١هـ) ينظر: معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة: ١٠/ ٤ .

(٣) هو: عالم رباني وداعية مجاهد وأديب تميز بجمال الأسلوب وصدق الكلمات، مؤلف كتاب: (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين) ولد في الهند، تخصص في علم التفسير، كان صاحب نشاط اسلامي في الهند وخارجها، يُعَد مِن أشهر العُلماء المُسلمين في الهند، وله كتابات وإسهامات عديدة في الفكر الإسلامي. ينظر: السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي، أبو الحسن الندوي: ٢٥ .

(٤) هو: عبد القادر بن محمد بن نَصر الله بن أبي الوفاء القرشي الحافظ أبو محمد الحنفي الإمام، تَفَقَه وبَرَع وأفتى ودَرَّس، وصَنَّف وجَمَع، من ذلك: (طبقات الفقهاء الحنفية) و(تخريج أحاديث الهداية) وحَدَّث وسَمِع منه الحُفاظ والفُضلاء، ومات بالقاهرة سنة ٧٧٥هـ. ينظر: لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، ابن فهد: ١٠٥.

كانت الأوضاع السياسية في الفترة التي عاش فيها الماتريدي مرتبطة بالأوضاع السائدة في الدولة الإسلامية وفي هذا المبحث سنتناول هذا العصر والأوضاع فيه.

المطلب الأول: الحالة السياسية في عصر الإمام الماتريدي

عاش الإمام الماتريدي في الفترة الممتدة ما بين نهاية القرن الثالث، والثلث الأول من القرن الرابع الهجريين، وهي الفترة التي سُميت في التاريخ الإسلامي السياسي بفترة (العصر العباسي الثاني) الذي يمتد من عهد المتوكل(٢٣٢هـ) حتى سقوط بغداد على يد التتار(٦٥٦هـ)، وعاصر فيها الماتريدي اثنا عشر خليفةً عباسياً ابتداءً بالمتوكل(٢٣٢هـ) وانتهاءً بالمتقي لله (٣٢٩هـ).

كان المنهج السائد في العصر العباسي الثاني هو المنهج الإسلامي، وإن هبط قليلاً عما كان عليه سابقاً، ومع توقف الفتوحات انصرف النَّاس إلى العلم؛ فأنتجوا علماً في مختلف الفنون، لذلك حاول الأعداء النيل من الدولة العباسية بزيادة الهجوم عليهم(١).

نشأت في هذا العصر دويلات داخل الدولة الإسلامية ارتبطت بالخلافة؛ فانتقل الحكم من المركزية في العصر العباسي الأول إلى اللامركزية في العصر العباسي الثاني، حيث لم يبقى للخليفة إلا بغداد وما حولها مع بقاء رابطة الولاء للخلافة(٢)، وفي هذه الفترة ضعفت الخلافة العباسية عمَّا كانت عليه في عصرها العباسي الأول، بسبب سيطرة العسكر على الحكم حتى عُرف ذلك العصر بأنَّه (عصر نفوذ الأتراك)(٣).

وبالرغم من الضعف الَّذي حل في الدولة العباسية، إلا أنَّ ذلك لم يكن بسبب اختفاء السيادة العربية كما زعم أعداء الإسلام، أو بسبب سيطرة عناصر أعجمية على الدَّولة، وإنَّما لكثرة الزعامات الَّتي وُجدت، والَّتي كانت تتناحر فيما بينها، وكل زعامة تخرج حسب جنسية ابنائها، ولمَّا كانت بغداد مركز الخلافة فهي محط الأنظار ومطمع الزعماء؛ لذلك تمكنوا من السيطرة عليها مجموعة إثر مجموعة، فكان مع كل صاحب نفوذ قوة يقاتل بها، فأصبح الحكم متناحرًا بين العسكريين، والخليفة أصبح في أفضل الحالات ليس له إلا الإسم، وهذا هو سبب الضعف الحقيقي الَّذي آلت إليه الدولة(٤).

كانت الأوضاع السِّياسية في بيئة أبي منصور الماتريدي مرتبطة بالأوضاع السَّائدة في الدَّولة الإسلامية، حيث شهدت في النِّصف الثَّاني من القرن الثَّالث وبداية القرن الرَّابع للهجرة انقسامات سياسية خطيرة، كان من نتائجها أنْ تعددت مناطق النُّفوذ، وعانى المَسلمون من استبداد الأتراك في

(١) ينظر: التاريخ الاسلامي، محمود شاكر: ٩/ ١٤

(٢) ينظر: سد الثغور بسيرة علم الهدى أبي منصور الإمام الماتريدي، د. أحمد سعد الدمنهوري: ٢١.

(٣) ينظر: التاريخ الاسلامي: ٢٣/٥.

(٤) ينظر: التاريخ الإسلامي: ٩/ ١٤-١٥.

الدَّولةِ العَباسيةِ، وتدخلهم في الشُّؤون السِّياسية دون الخُلفاء، فأحدث الأتراك كثيرًا من الفوضى والاضطراب، مِمَّا ترتب عليه ضعف السُّلطة المركزية في بغداد، واستقلال أكثر الولايات الإسلامية(١).

زادت في هذه الفترة في المشرق الإسلامي الدول المستقلة فكانت الدولتان: الصَّفارية(٢) والسَّامانية، وهاتان الدولتان تقع في إطارهما مدينة سمرقند الّتي ولد فيها الماتريدي، وكان آل سامان قد ملكوا سمرقند وفرغانة(٣) وتلك النواحي مدة مائة سنة تقريبًا، وَكَانَ ابْتِدَاء ملكهم سنة ٢٦١هـ، وكانوا من أحسن الملوك سيرة وإهتمامًا بالعلم وأهله(٤).

تمتع الأُمراء السامانيون باستقلالهم عن الخليفة كما أشار إلى ذلك معظم المؤرخين، وكانوا في بعض الأحيان يلجأون إلى فض النزاع، وكانوا الأداة الطيعة المنفذة لأوامر الخلفاء العباسيين، مما أعطاهم حرية في الحركة تشبه الإستقلال في القرار والحكم نتيجة ثقة الخلفاء فيهم، وقد اتجهوا نحو التَّوسع الخارجي مُتجنبين الدخول في نزاعات داخلية؛ فكان لهم دور كبير في نشر الاسلام في بلاد التركستان(٥).

المطلب الثاني: الحالة الاجتماعية في عصر الإمام الماتريدي

إنَّ دراسة الحالة الاجتماعية لأي عصرٍ من العُصور لهُ أهمية بالغة في التَّعرف على طبقات الناس الَّتي كانت تعيش في ذلك العصر، والتَّعرف على مظاهر الحياة فيه، والرَّوابط والعلاقات بين أفراد ذلك المجتمع.

---

(١) مقدمة تأويلات الماتريدي: ١/ ٢٩

(٢) الدولة الصفارية : تأسست على يد يعقوب بن الليث الصفار (وهو من أصل فارسي)، وكان هذا يعمل صفارًا للأواني النحاسية في بداية حياته ثم انخرط جنديًا في فرقة عسكرية في سجستان، فعلا شأنه، وصار قائدًا عظيمًا، فاستولى على سجستان وما حولها، وأغار على الدولة الطاهرية بخراسان، واستولى على عاصمتها نيسابور، وحارب الترك، وتوسع واستولى على جنديسابور والأهواز، وحكم خراسان وفارس وأصبهان وسجستان والسند وكرمان. ينظر: موجز التاريخ الإسلامي من عهد آدم إلى عصرنا الحاضر، أحمد معمور العسيري: ٢٢١.

(٣) فرغانة: ناحية عامرة كبيرة ذات نعم وفيرة، وبها جبال كثيرة وصحار ومدن ومياه جارية، وهي باب تركستان، ويقع إليها الرقيق التركي الكثير، وفي جبالها معادن الذهب والفضة بكثرة، وكذلك النحاس والرصاص والنوشادر والزئبق، وكان ملوك فرغانة قديمًا من ملوك الأطراف ويدعونهم الدهاقين. ينظر: حدود العالم من المشرق إلى المغرب: ١٣٠.

(٤) ينظر: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ابن الجوزي: ١٥/ ٢١١.

(٥) ينظر: تاريخ الدولة العباسية، محمد سهيل طقوش: ١٩٢.

تميز المجتمع في الدولة العباسية باختلاف عناصر المجتمع وتباين طبقاتهم، فقد توزع النَّاس في ثلاث طبقات أساسية: طبقة عُليا اشتملت على الخُلفاء والوزراء والولاة والأُمراء وكبار رجال الدولة ورؤوس التجار وذوي الأعيان، وطبقة وسطى اشتملت على رجال الجيش وموظفي الدواوين والتُّجار والصُنَّاع الممتازين، ثم طبقة دُنيا اشتملت على العامة من الزُّراع وأصحاب الحرف الصغيرة والخدم والرقيق، ويأتي في إثر تلك الطبقات أهل الذمة(١)، وكانوا يُمثلون نصف المجتمع تقريبًا، وقد تمتعوا بحرية في العقيدة وفي بناء دور عباداتهم(٢).

كانت الطبقة الأولى تغرق في النعيم، وكانت أموال الخراج تُجبى إلى الخلفاء من سواد العراق وأقاصي الدولة وأدانيها، ويُقال إنَّ النفقات لم تبلغ في عصر من عصور الخلفاء ما بلغته في عصر المتوكل، وخاصة في بناء القصور، وكان الوزراء والقواد والأُمراء يعيشون في هذا النعيم نفسه؛ بسبب رواتبهم الضخمة(٣)، كان المجتمع الإسلامي يتألف من عدد من القوميات المختلفة العرق وهي: العرب والفرس والمغاربة، ثم دخل العنصر التركي في عهد الخليفة المعتصم الذي اتخذهم حرسًا له حتى أصبحوا خطرًا على الدولة، وكانوا من أسباب ضعفها(٤).

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية التي برزت في عصر الإمام الماتريدي كانت ظهور حركة الشعوبية(٥) والتي بلغت ذروة خطورتها في القرن الثالث الهجري. وقد زادت حدة الشعوبية في هذا العصر، فكل عرق يعتز بقوميته ويحاول الحط من الآخرين، وكان من أسوأ ما نتج عن الشعوبية هي الزندقة وكانت على شكلين: الشكل الأول: الزندقة في العقيدة وهي الزندقة الحقيقية، فظهر في هذا العصر أبو عيسى الوراق(ت: ٢٤٧هـ)، وقد رد عليه الماتريدي في تفسيره في أكثر من موضع، وفي كتاب التوحيد في مواضع، والزندقة الشكلية والتي تتمثل في كثرة المُجَّان والخلعاء الذين لا يرعون حرمات الدين وإن لم يكفروا بالإسلام أو يخرجوا منه(٦).

كذلك حياة التَّرف واللَّهو كانت مظهرًا بارزًا من مظاهر الحياة الاجتماعية نتيجة تدفق الثَّروة والرَّخاء في الدَّولة العباسية، مما أدى إلى انغماس كثير من الخلفاء والأمراء في حياة التَّرف والمُجون، بل أصبح التَّرف سِمة امتازت بها حياة كثير من الناس في هذا العصر، وقد تجلت مظاهر التَّرف

(١) ينظر: العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف: ٥٣.

(٢) ينظر: سد الثغور: ٣١.

(٣) ينظر: العصر العباسي الثاني: ٥٣.

(٤) ينظر: سد الثغور: ٣١.

(٥) الشعوبية: مذهب قديم مشتق من لفظ الشعب، ونسبته غير قياسية إلى "الشعوب"، وسموا بذلك لأنَّهم ينتصرون ينتصرون للشعوب الأخرى على قبائل العرب، وهم جماعة من الناس لا يرون للعرب فضلًا على غيرهم. الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها، د سعيد بن ناصر الغامدي: ٩٦٤/٢.

(٦) سد الثغور: ٣١.

واللَّهو في عدة أمور أبرزها: القصور المنيفة التي شيدت على أحسن طراز، وشيوع الغناء في هذا العصر، وكثرة المغنون، وقد أوجدت هذه الحالة جماعة أُخرى وأثمرت حياة اللَّهو كذلك حياة مقابلة لها هي حياة الزهد التي سلكها بعض الناس(١).

أما بلاد وراء النهر(٢) حيث ولد الماتُريدي فإنَّ غالبية السَّكان فيها كانوا من الفرس والترك، مع طوائف عربية استوطنت هذه البلاد على أثر الفتوحات الإسلامية، فاندمجوا مع سكان البلاد الأصليين، متمتعين في ظل الإسلام بكافة الحقوق الإنسانية. وكان الطابع المميز للمجتمع ببلاد ما وراء النهر يتحسن تدريجيًا، لا سيما في الدولة السامانية فعموم الشعب قد تحسنت أحوالهم في عهد السامانيين بدرجة ملحوظة؛ بسبب انتشار الأمن وازدهار التجارة والصناعة(٣).

المطلب الثالث: الحالة العلمية في عصر الإمام الماتريدي

تَحقَق في سَمرقَند ومُنذ بداية القَرن الثَّالث الهِجري، وهي الفَترة الَّتي عاش فيها الإمام الماتُريدي جوٌ من الأمن والسَّلام بدأت تظهر فيها باعتبارها وأحدة من أعظم مراكز المعرفة في بلاد ما وَراء النَّهر، فأصبحت سمرقند مركزاً للثَّقافة والحَضَارة الإسلامية للعباسيين، وبلغت ذروتها في ظل حُكمِ الدَّولة السَّامانية في الفترة الَّتي عاش فيها الماتريدي، فكان لها الدَّور الرَّئيسي في وصول العلم والثقافة لبلاد ما وراء النهر وآسيا الوسطى، وفي هذه الفترة أخرجت علماء ومفكرين عُظماء كان لهم الشَّأن الكبير في مختلف فروع العلوم الإسلامية، أُطلق عليهم (علماء ما وراء النهر) الَّذين يُمثلون الفكر السُّني للمذهب الحنفي، فبدأت وجهات نظرهم تُناقَش في أجزاء أُخرى من العالم الإسلامي(٤)، فتميزت الحركة العِلمية في هذا القَرن بالقُوةِ وبِجِد العُلماء وصِدْقِهم في تحصيل العُلوم ونَشره.

(١) ينظر: مقدمة تأويلات الماتريدي: ١/ ٥٦-٥٨.

(٢) بلاد ما وراء النهر: اسم أطلقه المسلمون على البلاد التي يفصلها نهر "جيحون" عن "خراسان" وهي التي تقع وراءه من جهة الشرق والشمال، وتعرف الآن باسم (آسيا الوسطى الإسلامية)، وتضم خمس جمهوريات إسلامية كانت خاضعة للاتحاد السوفيتي، ثم من الله عليهم فاستقلوا بعد انهياره، وهذه الجمهوريات هي الآن "أوزبكستان" و"طاجيسكتان" و"قازاخستان" و"تركمانستان" و"قرغيزيا". ينظر: موجز عن الفتوحات الاسلامية: د طه عبد المقصود عبد الحميد أبو عبية: ٧.

(٣) ينظر: سد الثغور: ٣٥.

(٤) ينظر:البيئة العلمية التي نشأ فيها الإمام الماتريدي ومراكز العلوم في سمرقند، عثمان آيدنلي: ٣٠٣-٣٠٤.

كانت بخارى(١) وسمرقند(٢) مراكز العلم في الدولة السامانية، أمَّا بُخارى فإنَّها تُعَد أهم مُدن الدولة السَّامانية، وقد تمثلت الحركة العلمية فيها في وجود عدد من المؤسسات العلمية، أبرزها: الكتاتيب التي تُعَلِم الصبيان القرآن ومبادئ القراءة والادب، كما اشتهرت بكثرة المساجد والتي كانت مراكز علمية، كما كانت دور أهل العلم مُلتقى للمناظرات والتي رُبما يعقدها الآمير في بيته، كما كان في بخارى مكتبات فيها الكثير من صنوف العلم، وقد شهدت سمرقند حركة علمية مهمة أيضاً، واشتركت مع بُخارى في وجود الكتاتيب والمكتبات(٣).

أما الدَّولة العباسية فقد كانت الحركة العلمية فيها نشيطة نشاطًا كبيرًا، واهتم المسلمون بالعُلوم الدِّينية والعَقلية، فكَثُر التَّدوين والتَّصنيف، ورُتبَت مسائل العلوم، واستقل كُل عِلم بمَوضوعه ومَنهجه، واستحدثت عُلوم جديدة كعلم التَّفسير والحديث وأصول الفِقه، وعُني المُسلمون بترجمة العُلوم العَقلية كالفَلسفة والمنطق والرّياضيات والطَّبيعة والكيمياء عن اليونان والهند. فهذا النشاط في عصر الدولة العباسية (العصر الَّذي عاش فيه الماتريدي) أثرى الحركة العلمية ثراءً عظيمًا، حتى عُدَّ هذا العصر بحق العصر الذهبي للحضارة الإسلامية القائمة على العلم الدِّيني والدنيوي على سواء(٤).

وكانت نتيجة ذلك نهضة علمية كبيرة وتعدد مراكز العلم في أرجاء الدَّولة الإسلامية، وبالرغم أنَّ الدَّولة العباسية عانت من الضَّعف بسبب النفوذ الفارسي، وعانت من الفتن بسبب محنة القرآن إلى أنْ جاء المتوكل إلى الخلافة في سنوات طفولة الماتريدي فأمر بإبطال المحنة والنَّهي عن الجدال في القرآن، وأعطى للفقهاء وأصحاب الحديث حريتهم، وأذِن لهم بأن يَجلسوا إلى النَّاس يُحدثونهم في قضايا التَّوحيد، وعَزَل المعتزلة. ونتيجة لهذه الحركة العلمية الكبيرة فقد عاش الإمام الماتريدي في عصر الجدل والمناظرات بين المعتزلة وأهل السنة، عصرٌ شهدَ سجال فكري وعقائدي، ممَّا كان له الأثر الأكبر في تصانيف الإمام الماتريدي، ومنها تفسيره (تأويلات أهل السُّنة) والَّذي اختار فيه منهجًا مُعينًا من حيث الاهتمام بمناقشة قضايا معينة، سواء في جانب الأصول أو الفروع (٥)، وتفقه في العلم على أئمة العلماء في عصره الَّذين أخذوا العلم عن سلسلة

(١) بُخارى: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، كانت قاعدة ملك السامانية، وهي مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين واسعة الفواكه، بينها وبين سمرقند سبعة أيام أو سبعة وثلاثون فرسخًا. ينظر: معجم البلدان: ١/ ٣٥٣.

(٢) سمرقند: يقال لها بالعربيّة سمران: بلد معروف مشهور، قيل: إنّه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر، بناها شمر أبو كرب فسميت شمركنت فأعربت فقيل سمرقند، وقيل: إن سمرقند من بناء الإسكندر، وحالياً هي مدينة في اوزبكستان. معجم البلدان، ياقوت الحموي: ٣/ ٢٤٩.

(٣) ينظر: سد الثغور: ٥٧.

(٤) ينظر: مقدمة تأويلات الماتريدي: ١/ ٥٩.

(٥) ينظر: المدرسة الماتريدية، الإمام الماتريدي ومنهج أهل السُّنة في تفسير القرآن، أحمد سعد الدَّمنهوري: ٤٥.

من العلماء تنتهي إلى أبي حنيفة، هذه البيئة الَّتي عاش فيها الماتريدي كان لها الأثر الأكبر في نبوغه.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقنا في تقديم هذا البحث المتعلق بسيرة الإمام أبو منصور الماتريدي وعصره، وقد بذلنا كل الجهد لكي يخرج بهذا الشكل، وكانت النتائج التي توصلنا إليها كالآتي:

كان الإمام أبو منصور الماتريدي من كبار علماء أهل السنة والجماعة، ومن الشخصيات البارزة التي كان لها الدور الرئيسي في شرح عقيدة أهل السنة والجماعة.

يعد الماتريدي مؤسس المذهب الماتريدي والذي يتبع فيها المذهب الحنفي في العقيدة.

ينتهي نسب الماتريدي إلى أبي أيوب الأنصاري ولقب بعدة ألقاب منها: (إمام الهدى)، (إمام المتكلمين)، (مصحح عقائد السنة)، (رئيس أهل السنة) وغيرها.

عاش أبو منصور الماتريدي في ظل الدولة السامانية والتي اتصف ملوكها بحبهم للعلم وتعظيمهم لأهله.

بالرغم من أن الحالة السياسية والاقتصادية في عصر الماتريدي أصابها الضعف والإنقسامات السياسية إلا أنَّ الحالة العلمية فيها كانت أنضج منها من العصر الذي قبله، لذلك كانت هناك نهضة علمية كبيرة وتعدد مراكز العلم في أرجاء الدولة الاسلامية.

عاش الماتريدي في عصر الجدل والمناظرات وكان له دور كبير في نصرة عقائد أهل السنة والجماعة والرد على أهل البدع والضلالات.

درس الماتريدي العلوم العقلية والنقلية حتى صار إمامًا في الفقه والتفسير والكلام، وألف فيها كتبًا عديدة ولكن لم يصل منها سوى كتابيه: التوحيد وتأويلات أهل السنة.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يوفق الجميع لما يحبه ويرضاه وصل اللهم على سيدنا محمد النبي الأمي والمبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١.الأثمار الجنية في أسماء الحنفية، على بن سلطان القاري (ت: ١٠١٤ هـ)، تحقيق: عبد المحسن عبد الله أحمد، أصل التحقيق: أطروحة دكتوراه، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي للدراسات العليا – بغداد، ١٤٢٩ هـ مركز البحوث والدراسات الإسلامية بديوان الوقف السني – العراق، ط١(١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م).

٢.الانحراف العقدي في أدب الحداثة وفكرها «دراسة نقدية شرعية»، د سعيد بن ناصر الغامدي، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة – كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع، جدة – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م.

٣.الأنساب أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت ٥٦٢ هـ), مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن – الهند، الطبعة الأولى (١٣٨٢ هـ – ١٩٦٢ م) حققه وعلق عليه:عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ت ١٣٨٦ هـ)، الأجزاء ١ – ٦، أبو بكر محمد الهاشمي (ت ١٤٢٩ هـ)، الأجزاء ٧ – ١٢.

٤.البيئة العلمية التي نشأ فيها الامام الماتريدي ومراكز العلوم في سمرقند، عثمان آيدنلي، المجلة العلمية لرئاسة الشؤون الدينية التركية، ٤-٢٠٢٢.

٥.تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (ت: ٨٧٩هـ) تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم، ط ١(دمشق، ١٤١٣ هـ -١٩٩٢م).

٦.تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة) محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (ت: ٣٣٣هـ) تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، ط بيروت،(١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م).

٧.الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (ت: ٧٧٥هـ)مير محمد كتب خانه، ط١ (كراتشي ، د.ت).

٨.حدود العالم من المشرق إلى المغرب، المؤلف: مجهول (ت: ٣٧٢هـ) تحقيق وترجمة عن الفارسية): السيد يوسف الهادي، الدار الثقافية للنشر، ط١ (القاهرة،١٤٢٣ هـ).

٩.الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (ت ٩٧٤هـ)،دار الفكر،ط١، (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) .

١٠.سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بحاجي خليفة(ت:١٠٦٧هـ) تحقيق: أكمل الدين إحسان أوغلو ومحمد عبد القادر الأرناؤوط، مركز الأبحاث للتاريخ

والفنون، ط١ (اسطنبول، ٢٠١٠م).
١١. الطبقات السنية في تراجم الحنفية، تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي (ت: ١٠١٠ هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو (ت: ١٤١٤ هـ)، دار الرفاعي – الرياض، السعودية،ط١،(١٩٨٩ م).
١٢. طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي الشهبي الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ت ٨٥١هـ)، المحقق: د. الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب – بيروت .
١٣. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي من علماء القرن الحادي عشر (ت: ق ١١هـ)، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم – السعودية،ط١،(١٩٩٧م).
١٤. الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله البغدادي التميمي الأسفراييني، أبو منصور (ت ٤٢٩هـ)، دار الآفاق الجديدة – بيروت، ط٢، ١٩٧٧.
١٥. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، محمد عبد الحي اللكنوي(ت: ١٣٠٤هـ) تحقيق: أحمد الزغبي، مطبعة السعادة، (مصر، ١٣٢٤هـ).
١٦. لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ, تقي الدين أبو الفضل، محمد بن محمد بن محمد ابن فهد الهاشمي المكيّ (ت ٨٧١ هـ)، وضع حواشيه: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان،ط١، ١٩٩٨ م.
١٧. لسان الميزان, أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ)، تحقق: دائرة المعرف النظامية – الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت ، ط٢، ١٩٧١م
١٨. المدرسة الماتريدية، الإمام الماتريدي ومنهج أهل السُنة في تفسير القرآن، د. أحمد سعد.
١٩. مدونة الشيخ المراغي أفضل من أرَّخ لأصول الدين، د محمد الجوادي، موقع على النت: www.aljazeera.net بتاريخ ٢/ ١٢/ ٢٠٢١.
٢٠. المعجم الجامع في تراجم المعاصرين، أعضاء منتدى اهل الحديث، http://www.ahlalhdeeth.com : ٣١ .
٢١. معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (ت: ١٤٠٨هـ) مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، ط(بيروت، د.ت).
٢٢. مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين, أبو الحسن الأشعري (ت: ٣٢٤هـ)، عنى بتصحيحه: هلموت ريتر، دار فرنز شتايز، بمدينة فيسبادن (ألمانيا)، ط٣، (١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م).
٢٣. مقدمة كتاب التوحيد ، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: فتح الله خليف، بكر طوبال اوغلي، دار صادر– بيروت ، الطبعة الجديدة: ١٢.
٢٤. الملل والنحل،محمد بن عبد الكريم بن أبى بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ), مؤسسة الحلبي.

٢٥. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: ٥٩٧هـ) تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط(بيروت، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م).

٢٦. موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر ١٤١٧ هـ/٩٦ - ٩٧ م، أحمد معمور العسيري، بدون ناشر (فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية - الرياض)، ط١، (١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م) .

٢٧. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، دار الندوة العالمية، ط٤(د.م، ١٤٢٠ هـ).

٢٨. هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت:١٣٩٩هـ) وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول، دار إحياء التراث العربي،(اسطنبول، بيروت، ١٩٥١م).

٢٩. وفيات الأعيان وأنباء ابناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (ت: ٦٨١هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، ط(بيروت، ١٩٠٠م).